ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: www.jtuh.org/

Verbal Elaboration in the Hadiths of Sahih al-Bukhari: A Rhetorical Study

Shaima Fadel Jassim

College of Arts - University of Mosul

* *Corresponding author: E-mail* : shaymaa.jasim@uomosul.edu.iq
07701785117

Keywords:
The unseen
Prayer
Worship
exaggeration

ARTICLE INFO

Article history:
Received 30 Jun 2024
Received in revised form 6 July 2024
Accepted 6 July 2024
Final Proofreading 26 Aug 2025
Available online 26 Aug 2025
E-mail t-jtuh@tu.edu.iq

©THIS IS AN OPEN ACCESS ARTICLE UNDER THE CC BY LICENSE
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

ABSTRACT

This research deals with verbal elaboration in the hadiths of Sahih Al-Bukhari because this type of style has an impact on revealing and clarifying the aesthetics of the prophetic text, and its strong influence on the listener and reader. Verbal elaboration refers to those phrases that come at the beginning or end of the hadith, to highlight rhetorical purposes such as generalization, introduction, summary, clarification, explanation, or suspense, through a concise and eloquent linguistic formulation. Elaboration is also considered a rhetorical style, as it is a section of prolixity related to the science of semantics in Arabic rhetoric. The approach adopted in this study is an analytical, deductive rhetorical approach. It is analyzed according to the mechanisms of semantics and rhetoric to uncover the phenomenon of rhetorical exaggeration at the beginning or end of a hadith, using selected examples from the chapters on worship (intention, purification, prayer, etc.). The study approached the subject from several perspectives, starting with the word, from language to terminology, rhetorical exaggeration among rhetoricians, exaggeration in the context of prayer, exaggeration in the context of the unseen, and exaggeration in will and desire.

DOI: http://doi.org/10.25130/jtuh.32.8.3.2025.04

الفذلكة اللفظية في نماذج مختارة من أحاديث صحيح البخاري– دراسة بلاغية –

شيماء فاضل جاسم/ كلية الآداب . جامعة الموصل

الخلاصة:

يتناول البحث الفذلكة اللفظية في أحاديث صحيح البخاري –دراسة بلاغية – لما لهذا النوع من الأساليب من أثر في كشف وبيان جماليات النص النَّبوي، وقوة تأثيرهُ في نفس السمع والقارئ؛ والقصدُ من الفذلكة اللفظية تلك العبارات التي تأتي في مقدمة الحديث أو خاتمته، لتبرز أغراضا بلاغيةً كالإجمال أو التمهيد أو التلخيص أو التوضيح أو التعليل أو التشويق وذلك بصياغة لغوية موجزة بليغة، كما تُعدُّ الفذلكة أسلوبًا

بلاغيًا لكونها قسمًا من أقسام الاطناب التابعة لعلم المعاني في البلاغة العربية. والمنهج المتبع بهذهِ الدراسة منهج بلاغي تحليلي استنباطي، وتحليلها على وفق آليات علم المعاني والبيان والبديع للكشف عن ظاهرة الفذلكة في صدر الحديث او خاتمته من خلال نماذج مختارة من ابواب العبادات:(النية، الطهارة، الصلاة ....) وتناولت الدراسة الموضوع من جوانب عدة بدءا باللفظة من اللغة الى الاصطلاح والفذلكة عند البلاغيين والفذلكة في سياق الصلاة، والفذلكة في سياق الغيبيات، والفذلكة في المشيئة والإرادة.

الكلمات المفتاحية: الغيبيات، الصلاة، العبادة، الفذلكة.

اللفظة في اللغة والاصطلاح

"اللفظ: اللام والفاء والظاء كلمةٌ صحيحةٌ تدُلُّ على طرح الشيء وغالب ذلك أنْ يكون من الفم. نقول: اللفظ بالكلام يلفظ لفظًا ولفظتُ الشَّيءَ من فمي" (ابن فارس، 1979م، 259)

عرف ابن منظور (ت711 هـ) اللفظ: "اللَّفظُ: أنْ ترمي بشيءٍ كان في فيكَ، والفعل لفظ الشيء: يُقالُ: لفظتْ الشَّيء من فمي ألفظهُ لفظًا رميتَهُ وذلك الشَّيءُ لفاظةٌ" (ابن منظور، 1414هـ، 461).

أمَّا في الاصطلاح:

"هو ما يتلفظ به الإنسان أو من في حكمهِ ، مهملًا كان أو مستعملًا" (الجرجاني، 1983م، 192).

وعرفه الكفوي(ت1094 هـ) " هو صوت معتمد على مقطع، حقيقة أو حكمًا، فالأول كزيدٍ، والثاني كالضمير المستتر في (قُم) المقدر بأنت "(الحنفي، د. ت، 795).

الفذلكة عند البلاغيين:

في تتبعنا لمصطلح الفذلكة عند البلاغيين نجد محمد بن عبد الرحمن القزويني (ت739هـ) يذكر معنى المصطلح في شرحه لقولهِ تعالى: ﴿أَأَنذَرتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [سورة البقرة:196] إذ قال القزويني: (تلكَ عشرةٌ كاملةٌ) هي "لإزالةِ توهم الإباحة كما في نحو قولنا: جالس الحسن أو ابن سيرين، ويَعلم العدد كما عُلِمَ تفصيلًا ليُحاط به من جهتين، فيتأكد العلم وفي أمثال العرب: علمان خير من علم، وكذا قوله:{ كاملةٌ} تأكيدًا آخر" (القزويني، د. ت، 222).

وأمَّا بديع الزمان سعيد النورسي (ت1379هـ) فقد ذكر مصطلح الفذلكة في كتابهِ عند توضيحهِ معنى قوله تعالى: ﴿أَأَنذَرتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾[سورة البقرة: 9] قال النورسي:{ وما يشعرون} أي: لا يحسّون هو أنَّ في هذهِ فذلكةٌ تجهيلًا أي : تجهيلًا لهم، لأنَّها تُشعر بأنَّهم إنْ كانوا عقلاء فهذا ليس من شأن العقل، وإن كانوا حيوانات يتحركون لميل نفسانيّ فشأنهم أن يحسوا ويشعروا بمثل هذا الضرر المحسوس، إذ أضفى عليهم صفة الجمادات بعدم الشعور (النورسي، 2003م، 95)، وكذلك ما ذكره في

معنى قوله تعالى: ﴿كل كم كى كي لم لى لي نم﴾[سورة البقرة: 11] قال النورسي : "{لا تفسدوا} فذلكة وخلاصة لصورة قياس استثنائي (الجرجاني، 1983م، 181)، أي: لا تفعلوا هكذا، وإلّا نشأُ منه الهَرْج والمَرْج، فينقطع خيط الإطاعة، فيتشوش نظام العدالة، فتنحل رابطة الاتفاق، فيتولّد منه الفساد، فلا تفعلوا لئلا تفسدوا، وفي لفظ (في الأرض) تأكيدٌ للنهي وإدامةٌ للزجر" (النورسي، 2002م، 99).

وشرح في قولهِ تعالى: ﴿قم كج كح كخ كل كم لج لح لخ لم له مج﴾[سورة البقرة : 16], قال النورسي: اعلم أنَّ هذه الآية فذلكةٌ وإجمال ونتيجة لما سبق، وأنّ تصويرَ عملية الشراء بصورة عالية ومؤثرة، وتخصيصَ أسلوب التجارة للتمثيل؛ لأجل أنَّ المُخاطَبين في الصف الأول قد ذاقوا حلو التجارة ومرّها برحلتي الصيف والشتاء، ووجه المناسبة هو أنّ نوع البشر أُرسلَ إلى الدُّنيا لا للتوطن فيها، بل ليتّجروا في رأس مالهم من الاستعدادات والقابليات ليزرعوا ثُمَّ يتصرفوا في غلاتِها (النورسي، 2002م، 111).

وأشارَ النورسي إلى جمع فذلكة بقوله: إنّ القرآن الكريم والحديث النَّبوي، إنَّما أُخذَ من كلِّ فن فذلكة، وإحاطة فذلكات كثيرة (النورسي، 2002م، 173). وقال:" إنَّ الفذلكةَ بحسنِ الإصابةِ في موقعها المناسب واستعمالها في أرضٍ منبتة مع أمور مرموزة غير مسموعة، تشفُّ كالزجاجةِ عن مَلكةٍ تامةٍ في ذلك الفن, واطلاعٍ تامٍ في ذلك العلم فتكون الفذلكة في حكم العلمِ" (النورسي، 2002م، 173).

وذكر فذلكة التذييل عند شرح قوله تعالى: ﴿ذرٰ ٌّ ٍّ﴾ [سورة البقرة: 25] قال: "اعلَمْ أنّها فذلكةٌ وتذييلٌ واعتراضيةٌ لتصديقِ الحكم السابق وتعليله" (النورسي، 2002م، 201).

ووردت لفظة الفذلكة عند الدكتور محمد محمد أبو موسى في موضع واحد عند تحليلِهِ الآية الكريمة في قولهِ تعالى: ﴿ئم ئن ئى ئي بر بز بم بن بى بي تر تز تم تن تى تي ثر ثز ثم ثن ثى ثي فى في قى قي كا كل كم كى كي لم لى﴾ [سورة الأحزاب: 4] حيثُ قال: {ذلكم قَوْلكم بأفواهكم والله يقولُ الحقَّ وهو يهدي السبيل} "فذلكةٌ لتلك الأقوال، آذنت بأنَّها جديرة بأن يُحكم عليها بالبطلان، وحقيق بأن يُذمَّ قائلها، فضلًا عن أن يُطاع، ثُمَّ وصل تعالى: {والله يقولُ الحقَّ}...الخ على هذه الفذلكة بجامع التضاد على منوال ما سبق في (لا تطع)، و(اتبع)" (أبو موسى، 1996م، 73)، ولِمْ يردْ عن محمد محمد أبو موسى أنَّه عرَّفَ بالفذلكةِ أو بيّنَ نوعها، ونستدلُّ من كلامهِ أنَّها حصيلة ونتيجة لما سبق.

الحديث الأول : في سياق الصلاة

"عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ρ يَقُولُ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهَرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ، يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا، مَا تَقُولُ: ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ. قَالُوا: لَا يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ شَيْئًا، قَالَ: فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا " (البخاري، 1422هـ: 528).

يستهل الرّسول ρ حديثه بأسلوبٍ بلاغيٍّ جميل باستعماله الفعل (أرأيتم) مسبوقًا بالهمزة, وخرجت هنا عن معناها الأصلي (الاستفهام) أي طلب العلم بالشيء إلى معناها المجازي وهو التقرير والثبوت والاستخبار, والفعل (رأيتم) مفرده (رأيتَ) وهي كلمة تقولها العرب عن الاستخبار, ويكون معناها أخبروني ومفردها أخبِرْني (علوش، 1997م: 187، الدماميني، 2009م: 212)، وقد وظّفها الرسول ρ لإثارة انتباه السامع وحثّه على تأمّل الأمر وتدبّره, وما للصّلاة من أهمية بالغة والتَّهيءُ لها, لأنّها تربيةٌ نفسيةٌ وأخلاقيةٌ واجتماعيةٌ, والمراد بالاستفهام أن يكوّن صورة ذهنية في نفس المتلقي فضلًا عن التشويق والترغيب في الصلاة (صبح، 2002م: 33).

واستعمل الرّسول ρ لفظة (نهرًا) نكرةً لتعظيم الأمر, وحسبُنا ما توحي به هذه اللفظة من رِقّةٍ وعذوبة وصفاءٍ تشعر المتلقي بأهمية الأمر واتساعه (عز الدين، 1984م: 156)، ومعنى (نهر): " مجرى الماء الفائض, جمعُه أنهار" (الأصفهاني، 2009م: 825، ابن سيدة، 2000م: 302)، وأضفى الرسول ρ لمسةً بلاغية مجازية في قوله: (نهرًا) فذكَر المحل وأراد الحال على سبيل المجاز المرسل؛ لأنّ النهر ليس المقصود به الماء, بل مجرى الماء, وأنّ هذا النهر ملتصقٌ بباب الصحابة ψ, ويعضّد تلك الصورة باستعمال حرف الجر (الباء) الذي" أصل معناه الإلصاق والاختلاط" (المرادي، 1992م: 36)، وهذا الإلصاق يجد فيه حُسنًا ذاتيًا لما تميل إليه له قلوب الصحابة ψ في كيفية تصوير هذا المشهد, وتكوين صورة ذهنية في أنفسهم, وأنّ هذا النهر الجاري قريبٌ جدًا من باب كلّ واحدٍ منهم, وهو سهل المنال (عز الدين، 1984م: 157)، كما أنّ طبيعة الماء في النّهر يكون مستمر الحركة, وهذه الاستمرارية تمنع تجمّع القاذورات فيه (الصباغ، 1983 : 300)، ومن بلاغة الرسول ρ أنّه يأتي بالكلام مسايرة للفطرة الإنسانية, فالإنسان بطبيعتهِ محبٌّ للجمال, ووصفُ الرسولِ ρ النهرَ في بيئةٍ لا يوجد فيها نهرٌ ولا بحرٌ يخلق عنصر التشويق في نفوس أصحابه ψ, وهذا ما ذهب إليه أبو إسحاق الأصطخري (ت346هـ) بقوله: "لا نعلم بأرض العرب نهرًا ولا بحرًا يحمل سفينةً" (الكرخي،2004: 15).

ثمّ يُتبِع الرسول ρ حديثَه بلون آخر من ألوان الكلام وهو يطرح سؤالًا على أصحابه ψ في قوله: (ما تقول؟) ونلحظ هنا أنّه يخاطبهم بصيغة المضارعة, وعدل عن صيغة الماضي في بداية الحديث في قوله: (أرأيتم؟), وهذا الالتفات من الماضي إلى المضارع أراد به استحضار الصورة التي رسمها في بداية الحديث عن النّهر الجاري ، فصيغة المضارعة لتوضيح الحال, أي: ما تقول في الغسل الذي يتجدد خمس مرات في اليوم, وصيغة الماضي (أرأيتم؟) أفادت تنبيههم على ثبوت الرؤية وتحقيق الأمر وأهميّة الصلاة ، وأفاد هذا الأسلوب توظيف القيم الزمنية ودفع السَّأَم عن المتلقي وتنشيطه.

والفعل (تقول) يجري مجرى الظنّ والتقدير، أي: أيّ شيء تظن, وهي لغة من لغات العرب تخصّ قبيلة سليم, فهم يُجرون أفعال القول كلّها مجرى الظنّ بلا شرط, وهي من لغاتهم المشهورة (الطيبي، 1997م: 14)، واستعمل الرسول ρ (ما) مع الفعل (تقول) ، وعَدَلَ عن (ماذا تقول) لأنّ المقام مقام

استفهام المحاجة, ولا يتطلب قوةً وتحديًا على خلاف ما إذا جاء بـ(ماذا) التي تتطلب مواقف القوة والتحدي (السامرائي، 2011م: 229).

ومن جميل بلاغتهِ ρ أنَّه عبّر بعد مخاطبة أصحابِه ψ باسم الإشارة في قوله: (ذلك يُبقي من دَرَنِه), واستعمل اسم الإشارة التي تكون للبعيد لعلوّ منزلة المُشار إليه وهو الاغتسال وتفخيم أمره وتميّزه ، وبهذا الاغتسال المتكرر لا يبقى من الدَّرَن شيء, والدَّرَن هو "تلطّخ الوسَخ" (الفراهيدي، د. ت: 20)، كما أنّ هذا الدَّرَن متعلّقٌ بالجلد فقط, لأنّ الرّسول ρ لم يُرِدْ أن ينسب لباطن المؤمن أي سوء لطفًا به, فجعل الدَّرن عالقًا بالظاهر الجسدي (عتر، 2013 : 157).

وبعد الحوار الذي دار بين الرسول ρ وأصحابه ψ يختم بخلاصةٍ وبأسلوب الفذلكة اللفظية العددية في قوله: (فذلك مثل الصلوات الخمس, يمحو اللهُ بها الخطايا) ، إنّ الرسول ρ ما ترك طريقًا يزيد في علم أمّته إلّا اتَّبعه, ومن ذلك ضربُ الأمثال, واستعمل الرسول ρ بفذلكتهِ المثل لما فيه من أهمية بالغة في نفس المتلقي كما تتجلّى لنا في قوله ρ: (فذلك مثلُ الصلوات الخمس) فذلكةٌ تمثيل بواسطة التشبيه التمثيلي تضمنت الصورة المرسومة في ذهن الصحابة ψ وهي صورة الاغتسال في النّهر, وأراد الرسول ρ بها المزاوجة بين الطبيعة بذكر الاغتسال في النهر وبين العبادة في أداء الصلوات الخمس, واستعمل فيها التشبيه التمثيلي, وهذا ما يسمّيه ابن سنان الخفاجي (ت466هـ) "الاستدلال بالتمثيل: فإنّه يزيد في الكلام معنىً يدلّ على صحّته" (الحلبي، 1982م: 275)، والغاية من هذا التمثيل تقريب العلم للناس, والفائدة من الفذلكة العددية هنا التقرير والتأكيد والتقييد بالعدد (خمس) أي الصلوات المفروضة في اليوم والليلة, إذ إنّ فائدة التشبيه التمثيلي تكمن في جعل المعقول كالمحسوس (الطيبي، 1997م: 182)، وشبَّه الرسول ρ حال المسلم الذي يؤدّي الصلوات الخمس بحال من يغتسل من ماء النهر الجاري, ووجه الشبه صورة منتزعة من الاغتسال والصلاة في إزالة الذنوب.

ويُوائم الرسول ρ بين ذكر الصلوات الخمس والاغتسال وما لها من أثر في محو الخطايا في قوله: (يمحو الله به الخطايا), وثمّة أسلوب فصلٍ ممثل بجملة (يمحو الله به الخطايا) عمّا قبلها في جملة (فذلك) حيث جاءت الثانية مبينِّةً للأولى, ومزيلةً لخفائها, وموضحة قصدها لكمال الاتصال بينهما.

واستعمل الرّسول ρ لفظة (يمحو) بصيغة المضارعة التي تدل على استمرارية محو الخطايا في كلّ وضوء, ومحو من (محا) وأشار إلى ذلك الأزهري (ت370هـ) بقوله: " محا: المحو لكلّ شيءٍ يُذهِب أثره يقول: أنا أمحوه, وأمحا" (أبو منصور، 2001م: 879)، وأسند المحو إلى الله –سبحانه وتعالى– لأنّه هو الماحي, وهذا المحو يتناسب مع المشهد الذي وصفه الرسول ρ بقرب النهر من بيوتهم والاغتسال فيه, ويختم الحديث بلفظة (الخطايا) بصيغة منتهى الجموع لفداحةِ أمر هذه الذنوب على الرغم من كثرتها يمحوها اللهY بالمحافظة على الصّلوات الخمس, فالعبد يضعف أمام الشهوات, والذي يعلو بالنّفس إلى سماء إنسانيتها ويحميها أنْ تهبط بثقل الأحمال من الأوزار هي الصلوات الخمس؛ لما فيها

من الإنابة بالرجوع إلى الله Y, ولما لها من فضل التوبة والاستغفار والدعاء والتضرّع الذي يحقق للعبد كمال إنسانيّته, فالمحافظة على الصلوات الخمس تُعدّ مطهرة للخطايا والذّنوب, فضلًا عن أنّ الصلاة تنهى العبد عن ارتكاب المنكرات والفحشاء (عتر، 2013 : 157–158، العيني، د. ت: 16)، ويسهم الغسل بالماء في محي الأوساخ الجسدية, وبهذا يزيل الله Y الذنوب عن العبد ويمحوها, لأنّ ذنوبه تصدر عن أعضائه التي يستعملها في أداء الصلاة, فيغسل لسانه الذي ينطق به في المضمضة, ويديه اللتين يبطش بهما, ورجليه اللتين يمشي بهما, وأنّه ليشغل كلّ عضو من أعضائه في عبادة ربّه مرةً بعد مرةٍ. وكان ذلك ماحيًا للخطايا (ابن هبيرة الشيباني، 1417هـ: 200).

الحديث الثاني: في سياق الغيبيات

"عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّτ ، عَنِ النَّبِيِّ ρ، قَالَ: إِنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ يَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا يَتَرَاءَوْنَ الكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الغَابِرَ فِي الأُفُقِ، مِنَ المَشْرِقِ أَوِ المَغْرِبِ، لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ تِلْكَ مَنَازِلُ الأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ، قَالَ: «بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا المُرْسَلِينَ" (البخاري، 1422هـ، 3256).

واستهل الرسول ρ حديثَهُ بأسلوبٍ خبري مشوق يجذب المخاطَب ويحقق الانتباه ليُشكل صورة ذهنية عن الغيبيات ممثلًة في قوله:(إِنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ يَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ) وأكد الرسول ρ الخبر بـ(إنَّ) وإن لم يكنْ في خبرهِ شك، ألا أنه يؤكد إخباره للشاك والمنكر الذي لا يؤمن بالغيبيات، وقوله:(أهل الجنة) إشارة منه ρ أنهم قد اتخذوها سكناً لهم لا يخرجون منها أبدًا ولا يرحلون عنها فقد ألفوها كما تقول العرب: "آهَلَكَ الله في الجنَّة إيهالاً أيْ: زوَّجَكَ فيها" (ابن فارس، 1979م، 151) والأصل اللغوي لـ(لجَنَّة) من" جنن: وجَنَّ الشيء يَجُنُّهُ جَنّاً وكل شيءٍ سُتر عنك فقد جُنَّ عنك... وسُمِّيَ الجِنُّ لاستتارهم واختفائهم عن الابصار... والجَنَّة البستان...فالجَنَّة ما يصير إليه المسلمون في الآخرة " (ابن منظور، 1414هـ، 92–94)، ويستحضر الرسول ρ صورة ترائي أهل الجنَّة بصيغة المضارعة (يتراءون) التي تدلُّ على المفاعلة من الطرفين أي ينظرون (المظهري، 2012م، 11) إلى بعضهم باستمرارية ومداومة على النظر, وفي هذا دلالة على التواصل لأنّهم بدار السلام الدائم التي تخلو من الشحناء والبغضاء، وعَدَلَ الرسول ρ عن استعمال لفظة حُجر وهي بمعنى: "المنعُ والإحاطةُ على الشَّيءِ" (ابن فارس، 1979م، 138) إلى غُرف ومعناها: العلّيّة من البناء وهي القصور العالية في الجنَّة التي تُبنى فوق الدار (الأصفهاني، 2009م، 605؛ المظهري، 2012، 11)، وممَّا يزيد المعنى تشويقًا في نفس المتلقي ليسمو ويطمح إلى أعلى المنازل قوله ρ: (من فوقهم) الدالة على تفاوت أهل الجنة في المنازل.

وورِدَ التشبيه المرسل المجمل ممثلًا في قوله ρ: (كَمَا يَتَرَاءَوْنَ الكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الغَابِرَ فِي الأُفُقِ، مِنَ المَشْرِقِ أَوِ المَغْرِبِ، لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ) حيثُ شبّه الرسول ρ أهل الغُرف من أهل الجنة بالنسبة إلى

سائر أصحابها في علوّ الدَّرجة ورفع المنزلة وتباعد ما بينها بالكوكبِ المُضيء في السماء بالنسبة إلى ما في الأرض (ابن الملك، 2012، 102) والكوكب: هو تجمع النجوم البادية الساطعة (الأصفهاني، 2009م، 695) بالنور في السماء بين الظلام, وهذا هو جزاء أهل الايمان لما قدَّموه في الحياة الدُّنيا من أعمال صالحة، والدُّريُّ هو "الثاقب المضيء" (ابن فارس، 1979م، 256) وما يعضد هذا الحديث قوله ρ: " فَإِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ" (الترمذي، 1975م، 2530)، وزادَ المشبّه به (الكوكب) رفعةً وعلوًا قولُه ρ: (الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب) حيثُ أضفى اسم الفاعل (الغابر) الدّال على الثبوت بعدًا مكانيًا لدى المتلقي ، والمدلول اللغوي لـ(غابر) من غَبَر فهو: "الماضي" (الفراهيدي، د. ت، 413)، وقال الكرماني "أي الذاهب الماضي الذي تدلّى للغروب وبَعُدَ عن العيون" (الكرماني، 1981م، 189)، وأراد الرسول ρ بهذا الوصف بيان علو شأن أهل الغرف للمتلقي وهذا ما ذهب إليه العسقلاني في قوله: "شبَّهَ رؤية الرائي في الجنّة صاحب الغرفة برؤية الرائي الكوكب المضيء النائي في جانب المشرق والمغرب في الاستضاءةِ مع شدة البعد" (العسقلاني، 1379هـ، 425).

ومن جميل بلاغته ρ قدرته على تصوير المسافة بكلمات تشد انتباه المتلقي وتضفي بعدًا نفسياً من ذلك قوله ρ: (الأفق) الذي ناسب دلالة (من فوقهم) في العلو, فالأفق تدلُّ: "على بلوغ النهاية" (ابن فارس، 1979م، 114) ووجه الشبه النور الساطع والجمال والضياء الثاقب الذي يُصيب من كان من أصحاب الغرف ويتجلى في الحديث مسلكٌ بلاغيّ راق يتمثل في الترقي في التصوير، حيث رُفعت منزلةُ أهل الغرف بتشبيههم بالكوكب الدُّري، في منازل أهل الجنَّة الآخرين.

ويختم الرسول ρ حديثه على لسان أصحابه ψ بفذلكة لفظية باسم الإشارة (قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ تِلْكَ مَنَازِلُ الأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ، قَالَ: بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا المُرْسَلِينَ), أراد الصحابة ψ الإخبار عن تلك المنازل التي رسخها الرسول ρ في أذهانهم حين ربط بين الرؤية البصرية الكونية بمشهد الكواكب وبين الرؤية الغيبية التخيلية لأهل الغرف، ووظّف الصحابة ψ اسم الإشارة (تلك) التي يشار بها للبعيد ولذلك لتمييز المشار إليه أكمل تمييز, وهم الانبياء(عليهم السلام) الذين اصطفاهم الله Y من بين عبادهِ وأوحى إليهم بشرائعه، لأنّ الأنبياء هم مصدر الثقة والاطمئنان، ولو تحرّينا حياتهم جميعًا لبرزت صفة ثقتهم بالله Y وتوكلهم عليه بروزًا واضحًا، والأنبياء هم أشدُّ النَّاس بلاءً, وما يعضّد ذلك ما جاء "عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ" (الترمذي، 1975م، 2398)، والأنبياء (عليهم السلام) جميعهم من صفاتهم التبليغُ والدعوةُ إلى توحيد الله – سبحانه وتعالى– , وورد عن المتلقين من أصحاب الرسول ρ الذين رسخت في نفوسهم دلالات رفعة وعلو مكانة الأنبياء (عليهم السلام) قولهم: (لا يبلغها غيرهم), و(لا) هنا لنفي حصول الفعل مستقبلًا، أي إن دخول المكان سيقتصر عليهم دون سواهم ، فيجيبهم الرسولρ: (بَلَى

وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا المُرْسَلِينَ), و(بلى) هنا بمعنى (بل) هي للأضراب وليس بمعنى حرف جواب لأنّهم لم يستفهموا وإنَّما أخبروا أنّ تلك المنازل للأنبياء (عليهم السلام), وممَّا يؤكد أنّها ليست لهم فحسب قسم الرسول ρ: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ) وقد اختار الرسول ρ هذه الصفة في سياق القسم؛ لما فيها زيادة تنبيه على عظمة الأمر وتأكيد على أهميته ، وترسيخٍ له في الوجدان وبيان فضل من آمن بالله –سبحانه وتعالى–, وأفاد هذا القسم تشويق الصحابة ψ إلى السعي بالأعمال الصالحة لينالوا تلك المنازل وتنكير الرسول ρ لـ(رجالُ) أفاد تعظيم الأمر وأنّ هؤلاء الرجال يتصفون بصفات عُلا أعلاها الإيمان بالله, وهذا أثره عظيم في تغير سلوك الفرد إذ يتخلى عن الأخلاقيات التي تنافي ما جاء به الإسلام، ويبتعد عن الشهوات، وكان الرسول ρ يدعو أصحابه ψ إلى التمسك بالله وحده، والتقرب إليه والاستعانة به ويدعوهم ألا يخشوا إلا الله ولا يسألوا إلا الله (نجاتي، 2005م، 280–281) ومن صفاتهم أيضًا أنَّهم يصدِّقون بالرُّسل جميعاً لا يفرِّقون بينهم, وثمة أسلوب وصل قائم بين الجملتين (آمنوا بالله وصدّقوا المرسلين) حيثُ عطف الجملة الثانية على الأولى لاتِّحاد الجملتين في الخبرية والإنشائية، والاشتراك في الحكم الإعرابي والمناسبة الجامعة بينهما أنَّهما ركنان من أركان الإيمان.

الحديث الثالث: في سياق الغيبيات

"عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّρ، قَالَ:" إِنَّ اللَّهَ وَكَّلَ فِي الرَّحِمِ مَلَكًا، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ نُطْفَةٌ، يَا رَبِّ عَلَقَةٌ، يَا رَبِّ مُضْغَةٌ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْلُقَهَا قَالَ: يَا رَبِّ أَذَكَرٌ، يَا رَبِّ أُنْثَى، يَا رَبِّ شَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ، فَمَا الرِّزْقُ، فَمَا الأَجَلُ، فَيُكْتَبُ كَذَلِكَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ" (البخاري، 1422هـ، 3333).

وقد صدَّر الرسول ρ حديثهُ بجملة خبرية طلبية في قوله: (إِنَّ اللَّهَ وَكَّلَ فِي الرَّحِمِ مَلَكًا), والغرض منه بيان مسألة خلق الإنسان، واستعمال الرسول ρ الاسم الجليل (الله) دون غيره من الأسماء فيه توجيهُ نظرٍ إلى الذات الإلهية، وهو أكبر أسمائهِ سبحانه وأجمعها وهو الجامع لكل الأسماء والصفات، حتَّى جعله بعضهم اسم الله الأعظم ولم يتسم به غيرهِ (القرطبي، 1964م، 102)، وأنّ الله خلق الموت والحياة, أي: ينسب إليه الخلق والتعبير بصيغة الماضي (وكَّلَ) أفادَ وقوع وثبوت أمر الوكالة في الرحم للملك، ويعزز هذا المعنى تقديم الجار والمجرور(في الرحم) على ما هو أولى منه بالتقديم وهو المفعول به (ملكًا) لبيان وظيفة هذا الملك الموكّل بالحفظِ والكتابةِ، وفيه دلالة على عظمة الله –سبحانه وتعالى– أن جعل له ملائكةً قائمين بأمره, وكلٌّ له وظيفته التي وُكِّلَ بها، والمراد بالرحم: "بيت منبت الولد, ووعاؤه البطن" (الفراهيدي، د. ت، 224) ووظّفَ الرسول ρ أسلوب الترتيب ليُبيّن مسألة علمية في خلق الإنسان ممَّثلًا في قوله: (يَا رَبِّ نُطْفَةٌ، يَا رَبِّ عَلَقَةٌ، يَا رَبِّ مُضْغَةٌ), وأضفى النداءُ بـ(يا) التي للبعيد جوًا من المهابة والتعظيم لله Y والمراد بالربِّ في الأصل" التربية وهو إنشاء الشيء حالًا فحالًا إلى حدِّ التمام ... فالرّبّ مصدر مستعار للفاعل، ولا يُقال الرّبُّ مطلقًا إلا لله تعالى المتكفل بمصلحةِ الموجودات"

(الأصفهاني، 2009م، 336)، وهذا الأنسب في هذا السياق، والأسبقية في الترتيب هي النطفة في قوله (يا ربِ نطفة) حيثُ حذف المسند إليه وأبقى المسند للعلم به والتقدير:(هي نطفةٌ) وهنا استفهام من الملك للربِّ أي هو نطفةٌ فأكتبها (الصنعاني، 2011م، 336)، والأصل اللغوي للنطفةِ من نطف "الماء الصافي، ويعبر بها عن ماء الرجل وقوله تعالى: ﴿نن ني ىٰ ير يز يم﴾ [سورة المؤمنون:13] قال: من نطفةٍ أمشاج" (الفراهيدي، د. ت، 436)، وحذف المسند إليه والحقيقة أنّ النطفة تتكون من أمشاج, أي من ماء الرجل ونطفة المرأة ولم يكتشفها العلمُ إلاَّ في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين (الباز، 1985م، 20)، وعبّر الرسولρ نقلًا عن الملك عن المرحلة الثانية من خلق الإنسان في قوله: (يا ربِّ علقةٌ) والعلقة: "هي الدم الغليظ، والقطعة منه عَلَقةُ والعلقةُ: دودة من الماء تمصُّ الدم والجمع علق....والعلق: الذي تعلق به البكرة من القامة" (الجوهري،1987، 1529/4)، "وهذه المرحلة يصفها علمُ الأجنة بأنّها مرحلة الالتصاق والانغراز وهي في الواقع تعلق الكرة الجرثومية بالرحم، حيثُ تقوم الخلايا الآكلة بالتعلق بالرحم في الطبقة الداخلية منه، وتحاط هذه الكرة الجرثومية ببرك من الدماء، ولذا فإن تعبير القدماء عن العلقةِ بأنَّها دم غليظ هو تعبير فيه شيء من الصحة ... بمعنى أنّ العلقة محاطة بالدِم الغليظ" (الباز، 1985م، 35)، وعبّر عن المرحلة الثالثة في قولهρ: (يا ربِّ مضغةٌ) والمضغة: " قطعةٌ من لحمٍ . وقلب الإنسان مضغةٌ في جسده والمضغة كل لحمٍ يُخلق من علقةٍ" (الفراهيدي، د. ت، 370)، ووصف المضغة هذا يعدُّ أصدق و أبلغ وأحكم وصف وهو أدق في ذلك من تحديدات علماء الأجِنّة الذين يسمُّون هذه المرحلة بمرحلة الكتل البدنية، بينما وَصْفُهُ هذه المرحلة بالمضغة يشمل الكتل البدنية والأقواس البلعومية بل حتى القطع الداخلية، فهو وصفٌ أدقُّ وأشملُ وأوجز (الباز، 1985م، 41-42).

و يُتْبِعُ الرسولُ ρ حديثَهُ بجملة شرطية في قوله: (فإذا أراد أنْ يَخْلُقَها), ودخول (إذا) الشرطية على صيغة الماضي (أرادَ) تخلِّصه للاستقبال, والشَّرطُ أفاد تشويق المتلقي لما سيُلقى عليه من الكلام, ويعزِّزُ هذا دخول (أنْ) المصدرية على صيغة المضارعة (يَخلقها) التي أفادت تخليصه للاستقبال أيضًا، وبعد انتهاء المراحل الثلاث من تكوين الجنين يصور المضغة بإرادتهِ كيف يشاء, وهذا يناسب قوله تعالى: ﴿ثم ثن ثى ثي فى في قى قي كا كل كم كى كي لم﴾[سورة ال عمران: 6]. ومنه قوله ρ: "إِذَا مَرَّ بِالنُّطْفَةِ ثِنْتَانِ وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً، بَعَثَ اللهُ إِلَيْهَا مَلَكًا، فَصَوَّرَهَا وَخَلَقَ سَمْعَهَا وَبَصَرَهَا وَجِلْدَهَا وَلَحْمَهَا وَعِظَامَهَا" (الهرري، 2009م، 2645).

ومن جميل بلاغته ρ أنّه يكسو ألفاظه جمالًا ويزيدها بهاءً ورونقًا ويجعل لها وقعًا موسيقيًا في نفس السامع المتلقي بطريق استعماله وتوظيفه الثنائيات الضِّدّيّة في الأسماء ممثّلة في قولهρ: (يَا رَبِّ أَذَكَرٌ، يَا رَبِّ أُنْثَى، يَا رَبِّ شَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ), والاستفهام بالهمزة في قوله: (أذَكرُ) دالٌّ على الثبوت والإقرار كون أنّ الجملة اسمية وأفاد التضاد بين الذكر والأنثى أثبات حقيقة علمية وهي أنّ ما يقرُّ في الأرحام

من جنس الذكر والأنثى هو بأمر الله –سبحانه وتعالى– وكذلك كتابة حظِّه في الدُّنيا من الشقاوة والسعادة ويعضد ذلك قولهρ: "مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلَّا كُتِبَ مَكَانُهَا مِنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِلَّا قَدْ كُتِبَ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً ", فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدَعُ العَمَلَ؟ فَمَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ، قَالَ: "أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ الشَّقَاوَةِ" (البخاري، 1422هـ، 1362).

وكلُّ تكرارٍ في كلامهِ ρ له دلالتهُ التي تسهم في إبراز الغرض وتقرير المعنى وهو أقوى أساليب الترسيخ في نفس المتلقي وكرّر الرسول ρ لفظة (يا رب) وأفاد هذا التكرار للنداء إظهار العبودية لله Y وحده والخضوع لأوامره وأنّه قائم بما أُمِرَ لا يفتر عنه (الكوراني، 2008م، 229)، وقد أدى التكرار وظيفته حيث ألقى على الحديث ظلالًا صوتيًا جميلًا، جعل المتلقي يترقَّبُ سماع الكلمة عقب كلّ جملة.

ويتبع الرسول ρ حديثه في قوله: (فَمَا الرِّزْقُ، فَمَا الأَجَلُ) حيثُ حذف المسند إليه وأبقى المسند (الرزق، الأجل) لأنّه يريد الإخبار بأنّ الرزق هو من عند الله والإخبار كذلك بأنّ الموت والحياة بيده Y.

ويختم الرسول ρ حديثَهُ بفذلكةٍ لفظيةٍ باسم الإشارة في قوله: (فَيُكْتَبُ كَذَلِكَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ), وصيغة المضارعة للمبني لم يسمَ فاعلهُ (فَيُكتبُ) ، والفاء فيها تفصيلية لما سبق ذكره، و(يُكتب) دالة على التجديد والمداومة على فعل الكتابة وصرف أذهان المتلقين إلى ما يكتب من أمور غيبية، ولا غرض من ذكر الفاعل، ووظّفَ الرسول ρ اسم الإشارة (كذلك) التي للبعيد لفذلكة ما فُصل ولتمييز المشار إليه أكمل تمييز وإحضاره حسًا في ذهن المتلقي واستحضار المراحل الثلاث في نمو الجنين على الترتيب الذي أفاد إثبات حقيقة الخلقة الطبيعية للإنسان, وأدحض الكثير من النظريات التي رسمها الإنسان عن بدء خلقه، وأراد الله –سبحانه وتعالى– في بيان هذا الترتيب التدريجي لخلقِ الإنسان أن يوجهه إلى التأني في الأمور وعدم العجلة، وينبههُ إلى مسألة مهمة وهي أنّ نوع الجنس وسعادته وشقائه ورزقه وأجله بيد الخالق Y, وهذا ما يبعث في النفس الرضا والطمأنينة والسكينة، والسر في تحويل الإنسان في بطن أُمهِ من طَوْرٍ إلى طَوْرٍ بالتدرّج إلى أنْ يكتمل، مع أنَّه قادر –سبحانه وتعالى–على أنْ يخلقه في لحظة واحدة، وأنّه لو خلقه دفعة واحدة لشق ذلك على الأم لعدم اعتيادها ذلك (الشافعي، 2005م، 544).

الحديث الرابع: المشيئة والإرادة:

"عن أَبِي هُرَيْرَةَ τ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ρ قَالَ: مَثَلُ المُؤْمِنِ كَمَثَلِ خَامَةِ الزَّرْعِ يَفِيءُ وَرَقُهُ مِنْ حَيْثُ أَتَتْهَا الرِّيحُ تُكَفِّئُهَا، فَإِذَا سَكَنَتِ اعْتَدَلَتْ، وَكَذَلِكَ المُؤْمِنُ يُكَفَّأُ بِالْبَلَاءِ، وَمَثَلُ الكَافِرِ كَمَثَلِ الأَرْزَةِ صَمَّاءَ مُعْتَدِلَةً حَتَّى يَقْصِمَهَا اللَّهُ إِذَا شَاءَ" (البخاري، 1422هـ، 7466).

وابتدأ الرسول ρ حديثه بضرب المثل وذلك في قوله: (مَثَلُ المُؤْمِنِ كَمَثَلِ خَامَةِ الزَّرْعِ يَفِيءُ وَرَقُهُ مِنْ حَيْثُ أَتَتْهَا الرِّيحُ تُكَفِّئُهَا، فَإِذَا سَكَنَتِ اعْتَدَلَتْ), حيثُ شبّه الرسول ρ بطريق التشبيه المجمل حال

المؤمن وما يعتريه من المصائب والآلام بحال المشبه به وهو (كمثل خامة الزرع), ووظّفَ الرسول ρ (الكاف) من دون غيرها من الأحرف لأنّها تفيد تشبيه الصفات بعضها ببعض, واستعمل (مثل) التي تفيد تشبيه الذوات بعضها ببعض (العسكري، 1412هـ، 444)، والمقصد اللغوي لـ(خامة) من خوم: "الغضَّةُ الرَّطبة من النبات" (ابن منظور، 1414هـ، 192)، وزرع " تدلُّ على التنمية" (ابن فارس، 1979م، 50) التي أضفت دلالات الخصب والنّماء للخامة, وهي تشبه بدورها صفة الخيرية والنّماء للمؤمن, فكما أنّ الزرع ضعيف يشدُّ بعضُه ببعض؛ كذلك المؤمنون عند الضعف يشدُّ بعضُهم بعضًا, ومنه قوله ρ: " المُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا" (البخاري، 1422هـ، 2446)، والمشبّه به هنا يوحي بدلالة اللّين كالمؤمن يلين ويخضع لأوامر الله Y, ويمضي الرسول ρ في وصفه المشبّه به في قوله: (يَفِيءُ وَرَقُهُ مِنْ حَيْثُ أَتَتْهَا الرِّيحُ تُكَفِّئُهَا، فَإِذَا سَكَنَتِ اعْتَدَلَتْ), وصيغة المضارعة (يفيءُ) توحي باستمرارية الحدث, و(يفيءُ) أصلها (فَيَأَ) يتحول ويرجع أي: تحريك ورقِها يمينًا وشمالًا (ابن الاثير) وفيها دلالة على ما ينتاب المؤمنَ من أحوال متقلّبة، لأنّه في دار ابتلاء وامتحان.

وفي قولهρ: (من حيث أتتها الريح تُكَفِّئُها) قدم ظرف المكان المجرور بـ(من) لإبراز المواطن الكثيرة التي تنفذ المصائب والابتلاءات منها إلى المؤمنِ، وأسهمت صيغة الماضي (أتَتْها) في رسم صورة خامة الزرع في ذهن المتلقي وهي تضرب بها الريح من الجوانب كلها، وفي كلَّ الأحوال تنحني لكونها خالية من الأنسجة المغلّظة والخلايا القوية, فإذا أتتْ عليها الريحُ أمالتها لا تكسرها ولا تقلعها متعايشة مع ظروف الحياة (أيوب، 2021م، 104)، ومن جميل بلاغتهِ ρ توظيف صيغة المضارعة (تُكَفِّئُها) وأراد أن يجمع بين معنيَيْ (القلب والميل) ووضعهما وضعًا فنيًا؛ فكسب المعنَيَيْنِ في آن واحد, وأصل معنى (تُكَفِّئُها) أي: تميلها وتقلبها الريح (ابن منظور، 1414هـ، 141، الشافعي، 2005، 384) وهي الأنسب في هذا المقام؛ لأنَّها تناسب حال خامة الزرع وهي تقلبها وتُميلها الريح، وكذلك حال المؤمن عندما تنزل به الشدائد وتقلب عليه الأمور في الحياة الدُّنيا, ويعزز ذلك تشديد الفعل (تُكَفِّئُها) إذ يوحي بكثرة النوازل والابتلاءات التي تصيب المؤمن، ومنه قولهρ: "مَا يَزَالُ البَلاءُ بِالمُؤْمِنِ وَالمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حتَّى يلْقَى اللَّهَ وَما علَيْهِ خَطِيئَةٌ" (الترمذي، 1975م: 2399)، وعَدَلَ الرسول ρ عن استعمال لفظة (تُميلها) لمفردها لأنها تدلُّ "على انحرافٍ في الشيء إلى جانب فيه" (ابن فارس، 1979م، 290)، وكذلك (تقلبها) وهي بمعنى:" قلبُ الشيء عن وجههِ قلبَه يقلبَهُ قلبًا، وقلبَ الشيءَ، وقلبه حوَّله ظهرًا لبطنٍ..." (ابن منظور، 1414هـ: 685)، واستعمل الرسول ρ لفظة ريح لما فيها من "الغلبة والقوة" (ابن فارس، 1979م: 464)، وهي الأنسب في هذا المقام لما فيه من امتحان وبلاء يصيب المؤمن، ويستأنف الرسول ρ حديثهُ بأسلوب الشرط ليزيد المتلقي شوقًا واستشرافًا لجوابهِ الذي يرتقبه ممثلاً في قوله ρ: (فإذا سَكَنتِ اعتدلت) ودخول (إذا) الشرطية على صيغة الماضي تخلّصه للاستقبال، وجواب الشرط (اعتدلت) يُقدر بـ: إذا سكنت الريح اعتدلت النبتة، وأسهم أسلوب الشرط في رسم صورة هادئة

لحال النبتة تبث في نفس المتلقي الطمأنينة والهدوء، ووجهُ الشَّبَهِ بين المؤمن والزرع أنّ المؤمن من حيثُ يأتيهِ أمر الله Y يقبله سواء كان هذا الأمر كونيًا أم شرعيًا، وكذلك الزرع لا يملك من صدِ أو رفضِ الريح شيئًا.

وتضمن الحديث الشَّريف فذلكةً لفظيةً تمثيليةً لحال المؤمن باسم الإشارة في قولهِ: (وَكَذَلِكَ المُؤْمِنُ يُكَفَّأُ بِالْبَلَاء), ووظَّف ρ (الكاف) لغرض التشبيه فضلًا عن (ذلك) التي يُشار بها للبعيد, وأتى بها مع المؤمن لإعلاء منزلته, وأفاد اسم الإشارة هنا استحضار صورةِ خامةِ الزرع وهي تميلها الريح بجميع الاتجاهات, وكذلك المؤمن يُكفَّأُ بالبلاء أي : تصيبه المصائب, وصيغة المضارعة المبني لما لم يسمَّ فاعله الدّال على المداومة يوحي بدلالةِ أنّ المؤمن في دار ابتلاء وامتحان، ويقابل المصائب والمواقف العصيبة بثبات وصبر؛ ولا يستقيم هذا المعنى إلّا على المؤمن السَّوِيّ الذي يتصف بالاتزان النفسي والعقلي وكان الرسول ρ يُعلِّم أصحابه ψ أنّ ما يحلُّ بهم من أمراض ومصائب إنَّما هو ابتلاء من الله Y ليرفعهم بها درجات، ويحطّ عنهم الخطايا، والرسول ρ يقوي فيهم الصبر على الشدائد وتحمل المصائب بنفس راضية بقضاء الله وقدره, وأنّ ما يصيب المؤمن كلّه خير له (نجاتي، 2005م: 296)، وممَّا يعضد ذلك قوله ρ: "عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ" (الهرري، 2009م: 2999).

ولإبراز صورة المؤمن وإعلاء شأنه يقابلها ρ بصورة الكافر في قوله: (وَمَثَلُ الكَافِرِ كَمَثَلِ الأَرْزَةِ صَمَّاءَ مُعْتَدِلَةً حَتَّى يَقْصِمَهَا اللَّهُ إِذَا شَاءَ)؛ حيثُ شبَّه الرسولُ ρ الكافر بالأرزةِ بطريق التشبيه المجمل, ووظّف اسم الفاعل في هذا السياق بلفظة (كافر) لثبوت صفة الكفر عليه, والمشبّه به (الأرزة) هي شجرة الصنوبر وهو شجر طويل قوي معتدل (ابن فارس، 1979م: 78، الغنيمان، 1405هـ: 260)، ويرمز هذا الوصف إلى مضي الكافر في غيّه، أو يده الطُّولى في الضلال, وكذلك هي (صمّاء معتدلة) أي: قوية صلبة كالحجر منتصبة (ابن منظور، 1414هـ: 91)، كما أنَّها من الأشجار المعمّرة كالكافر يحبُّ البقاء في الحياة الدنيا وشديد الحرص عليها, ومن صفات هذه الشجرة أنّها تنمو في التربة الصخرية، وتتحمل الأراضي الجافة والأجواء الباردة وأوراقها إبَريَّة حرشفية، ويتعرَّى ساقُها من الأسفل، ولا توجد أدلّة علمية كافية حول مدى أمان ثمار هذه الشجرة، إذ تحتوي بعض أنواعها على مركبات الأفلاتوكسينات السامة التي لها أثرٌ على صحّة الجسم، كما أنَها تزرع كمَصَدّاتٍ للرياح لصلابتها (داؤد، د. ت: 137-140)، كذلك الكافر لا يلين لقبول النصح أو القرآن، مثل شجرة الأرزة لا تنصاع لريح بل تقاومها، والكافر عند البلاء لا يخضع ولا ينصاع له بل يكابر، وينتهي مشهد الإباء والرفض (أحمد، 2011م: 176) في قوله ρ حتى يقصمها الله إذا شاء, بدلالة (حتى) التي معناها هنا (إلى أنْ) فهي تنصب الفعل بعدها, ويفيد المصدر المؤوّل بعدها من أنّ المضمرة والفعل معنى الغاية (خضير، د. ت: 40)، تدلُّ على طول زمن المعاناة وتصاعدها من سيءٍ إلى أسوأ، وأسند الرسول ρ فعل القصم إلى الله سبحانه

وتعالى، ولم يسنده إلى البلاء، وذلك للإبانة عن هول النهاية (أيوب، 2021م: 106)، ووجهُ الشَّبهِ أنّ الكافر لا يتفقده الله Y باختباره في الدُّنيا، بل يجعل له التيسير فيها لتتعسر عليه الحال يوم الميعاد, وإذا أراد إهلاكه قَصَمَهُ، فيكون موتُه أشدَّ عذابًا عليه وأكثرَ ألمًا في خروج نفسه.

نتائج البحث:

1- إذْ تُعدُّ الفذلكة اللفظية أسلوبًا بلاغيًا مميزًا في الحديث النّبوي ويقصد بها تركيب لفظي موجز ذو وظيفة بيانية تتجلى في الإيجاز أو التمهيد أو الخاتمة المؤثرة .

2- اتسمت الفذلكة في أحاديث صحيح البخاري بدقة في اللفظ وجزالة في المعنى، وجمال في الصياغة، ما يعكس عبقرية الأداء النبوي وقدرته على الجمع بين الإيجاز والإبلاغ.

3- كشفت الفذلكة اللفظية عن التوظيف البارع لأدوات التأكيد والتنبيه والاستفهام والتكرار، ممَّا يُسهم في تقوية الحُجة وتثبيت المعنى في ذهن المتلقي والقارئ.

4- ساهمت الفذلكة في بناء المعنى التصاعدي داخل الحديث، حيثُ تُعدُّ بمثابةِ ذروة أو خلاصة لماقبلها، ممّا يضفي على الحديث النّبوي بُعدًا تواصليًا وإقناعيًا قويًا.

5- ظهرت الفذلكة اللفظية أكثر بروزًا في الأحاديث التي تتعلق بالتربية الايمانية والتوجيه السلوكي، مايعكس العناية النَّبوية في ترسيخ القيم بأسلوب مؤثر.

6- يتجلى في الفذلكة اللفظية التكامل بين الجانب البلاغي والجانب التربوي، إذ لايقصد بها الزينة اللفظية المجردة، بل أداء وظيفية معنوية مؤثرة.

7- اثبتت الدراسة أن الفذلكة اللفظية في الحديث النّبوي ليست مجرد بناء لفظي، بل نمط من أنماط البيان المعجز، يدلُّ على بلاغة النبوةِ ويعزز من أهمية البلاغة في تفسير الحديث النَّبوي وتذوقه.

ثبت المصادر

1- Prof. Dr. Nour El-Din Atar, In the Shadow of the Prophetic Hadith and the Landmarks of the Prophetic Expression: The First Contemporary Intellectual, Social, Literary, and Aesthetic Study, Dar Al-Salam for Printing, Publishing, Distribution, and Translation, 1st ed., 1434 AH - 2013 AD.

2- Abu Ishaq Ibrahim ibn Muhammad al-Farsi al-Istakhri, known as al-Karkhi (d. 346 AH), Al-Masalik wa al-Mamalik, Dar Sadir, Beirut, 1st ed., 2004 AD.

3- Abu al-Hasan Ali ibn Ismail ibn Sidah al-Mursi (d. 458 AH), Al-Muhkam wa al-Muhit al-A'zam, edited by Abdul Hamid Handawi, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, 1st ed., 1421 AH - 2000 AD.

4- Abu al-Qasim al-Husayn ibn Muhammad, known as al-Raghib al-Isfahani (d. 425 AH), The Vocabulary of the Words of the Qur'an, edited by Safwan Adnan al-Dawudi, Dar al-Qalam - Dar al-Shamiya, Damascus-Beirut, 4th ed., 1430 AH - 2009 CE.

5- Abu Abd al-Rahman al-Khalil ibn Ahmad ibn Amr ibn Tamim al-Farahidi al-Basri (d. 170 AH), Al-Ayn, edited by Dr. Mahdi al-Makhzoumi, Dr. Ibrahim al-Samarra'i, Dar and Library of al-Hilal, n.d., n.d.

6- Abu Abd Allah Muhammad ibn Ahmad ibn Abi Bakr ibn Farah al-Ansari al-Khazraji Shams al-Din al-Qurtubi (d. 671 AH), The Compendium of the Rulings of the Qur'an = Al-Qurtubi's Interpretation, edited by Ahmad al-Bardouni and Ibrahim Atfeesh, Dar al-Kutub al-Masriya - Cairo, 2nd ed., 1384 AH - 1964 CE.

7- Abu Muhammad Badr al-Din Hasan ibn Qasim ibn Abdullah ibn Ali al-Muradi al-Masri al-Maliki (d. 749 AH), Al-Jana al-Dani fi Huruf al-Ma'ani, edited by Dr. Fakhr al-Din Qabawa and Professor Muhammad Nadim Fadel, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, Lebanon, 1st ed., 1413 AH - 1992 AD.

8- Abu Muhammad Abdullah ibn Muhammad ibn Sa'id ibn Sinan al-Khafaji al-Halabi (d. 466 AH), The Secret of Eloquence, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 1st ed., 1402 AH - 1982 AD.

9- Abu Muhammad Mahmud ibn Ahmad ibn Musa ibn Ahmad ibn Husayn al-Ghitabi al-Hanafi Badr al-Din al-Ayni (d. 855 AH), Umdat al-Qari Sharh Sahih al-Bukhari, Dar Ihya' al-Turath al-Arabi, Beirut, n.d., n.d.

10- Abu Nasr Ismail ibn Hammad al-Jawhari al-Farabi (d. 393 AH), Al-Sihah, the Crown of Language and the Sihah of Arabic, edited by Ahmad Abd al-Ghafur Attar, Dar al-Ilm al-Malayin, Beirut, 2nd ed., 1407 AH-1987.

11- Abu Hilal al-Hasan ibn Abdullah ibn Sahl ibn Sa'id ibn Yahya ibn Mahran al-'Askari (d. 395 AH), Dictionary of Linguistic Differences, edited by Sheikh Baytullah Bayat and the Islamic Publishing Foundation, affiliated with the Association of Teachers in Qom, 1st ed., 1412 AH.

12- Abu Abdullah Abd al-Salam ibn Muhammad ibn Umar 'Allush, The Appendix to the End of the Strange Hadith and Traditions, Dar Ibn Hazm for Printing and Publishing, Beirut, Lebanon, 1st ed., 1417 AH-1997 AD.

13- Ahmad ibn Ismail ibn Uthman ibn Muhammad al-Kurani al-Shafi'i then al-Hanafi (d. 893 AH), Al-Kawthar al-Jari ila Riyad Ahadith al-Bukhari, edited by Sheikh Ahmad Azou Enaya, Dar Ihya' al-Turath al-Arabi, Beirut, Lebanon, 1st ed., 1429 AH-2008 CE.

14- Ahmad ibn Ali ibn Hajar Abu al-Fadl al-Asqalani al-Shafi'i (d. 852 AH), Fath al-Bari Sharh Sahih al-Bukhari, Dar al-Ma'rifa, Beirut, 1379 AH, first edition.

15- Ahmad ibn Ali ibn Hajar Abu al-Fadl al-Asqalani al-Shafi'i (d. 852 AH), Fath al-Bari Sharh Sahih al-Bukhari, Dar al-Ma'rifa, Beirut, 1379 AH, first edition.

16- Ahmad ibn Faris ibn Zakariya al-Qazwini al-Razi, Abu al-Husayn (d. 395 AH), Mu'jam Maqayis al-Lugha, edited by Abd al-Salam Muhammad Harun, Dar al-Fikr, first edition, 1399 AH-1979 CE.

17- Ahmad ibn Muhammad ibn Abi Bakr ibn Abd al-Malik al-Qastalani al-Qutaybi al-Misri, Abu al-Abbas, Shihab al-Din (d. 923 AH), Irshad al-Sari li Sharh Sahih al-Bukhari, al-Matba'ah al-Kubra al-Amiriya, Egypt, 7th ed., 1323 AH.

18- Ayyub ibn Musa al-Husayni al-Quraimi al-Kafwi Abu al-Baqa al-Hanafi (d. 1094 AH), al-Kulliyyat, a Dictionary of Linguistic Terms and Differences, edited by Adnan Darwish, Muhammad al-Masri, al-Risalah Foundation, Beirut, n.d., n.d.

19- Badī' al-Zaman Sa'id Nursi (d. 1379 AH), Ishār al-I'jāz fi Mazān al-Ijāz, edited by Ihsan Qasim al-Salihi, Suzler Publishing Company, Cairo, 3rd ed., 2002 AD.

20- Al-Hussein bin Mahmoud bin Al-Hassan, Mazhar Al-Din Al-Zaydani Al-Kufi Al-Dharir Al-Shirazi Al-Hanafi, known as Al-Muzhari (d. 727 AH), Al-Mafatih fi Sharh Al-Masabih, edited by Nour Al-Din Talib, Dar Al-Nawadir, published by the Department of Islamic Culture - Kuwaiti Ministry of Endowments, 1st ed., 1433 AH - 2012 CE.

21- Dr. Khalil Muhammad Ayoub, The Language of Similes and Metaphors in the Prophetic Hadith: A Study of the Two Sahihs, Dar Arbab Al-Ilm, 1st ed., 2021 CE.

22- Dr. Daoud Mahmoud Daoud, Classification of Forest Trees, Dar Ibn Al-Atheer for Printing and Publishing, 1st ed., n.d.

23- Dr. Fadhel Saleh Al-Samarrai, Meanings of Grammar, Dar Al-Fikr for Printing, Publishing, and Distribution - Jordan, 5th ed., 1432 AH - 2011 CE.

24- Dr. Kamal Ezz El-Din, The Prophetic Hadith from a Rhetorical Perspective, Dar Iqra, Beirut-Ramla El-Bayda, 1st ed., 1404 AH/1984 CE.

25- Dr. Muhammad Ahmad Khudair, Grammatical Tools and Their Meanings in the Holy Qur'an, Anglo-Egyptian Library, Cairo, n.d., n.d.

26- Dr. Muhammad Uthman Nagati, Prophetic Hadith and Psychology, Dar Al-Shorouk, Cairo, 6th ed., 1425 AH/2005 CE.

27- Dr. Muhammad Ali El-Baz, A Concise Introduction to Qur'anic Embryology, Saudi House for Publishing and Distribution, 1st ed., 1405 AH/1985 CE.

28- Dr. Muhammad Muhammad Abu Musa, Secrets of Qur'anic Expression - An Analytical Study - of Surat Al-Ahzab, Wahba Library, Cairo, 2nd ed., 1416 AH/1996 CE.

29- Zakariya ibn Muhammad ibn Ahmad ibn Zakariya al-Ansari, Zain al-Din Abu Yahya al-Siniki al-Misri al-Shafi'i (d. 926 AH), Manhhat al-Bari bi Sharh Sahih al-Bukhari, entitled "Tuhfat al-Bari," edited and commented on by Sulayman ibn Dari' al-Azmi, Al-Rushd Library for Publishing and Distribution, Riyadh, Kingdom of Saudi Arabia, 1st ed., 1426 AH - 2005 AD.

30- Saad Abdul Rahim Ahmad, Analogy in the Noble Hadith: A Study of the Text of Sahih al-Bukhari, Dar Ghaidaa for Publishing and Distribution, 1st ed., 1431 AH - 2011 AD.

31- Sayyid Qutb, In the Shade of the Qur'an, Dar Al-Sharq, First Sharia Edition, 1972, Thirty-Second Edition, 1423 AH - 2003 AD.

32- Sharaf al-Din al-Husayn ibn Abdullah al-Tayyibi (d. 743 AH), al-Tayyibi's Commentary on Mishkat al-Masabih, entitled (The Revealer of the Truths of the Sunnah), edited by Dr. Abdul Hamid Handawi, Nizar Mustafa al-Baz Library (Makkah-Riyadh), 1st ed., 1417 AH - 1997 AD.

33- Abdullah ibn Muhammad al-Ghaniman, Explanation of the Book of Monotheism from Sahih al-Bukhari, Dar Library, Medina, 1st ed., 1405 AH.

34- Ali ibn Muhammad ibn Ali al-Zayn al-Sharif al-Jurjani (d. 816 AH), Kitab al-Ta'rifat, edited and authenticated by a group of scholars, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, Lebanon, 1st ed., 1403 AH - 1983 AD.

35- Ali Ali Subh, The Prophetic Portrayal of Moral and Legislative Values in the Noble Hadith, Al-Azhar Library for Heritage, 1st ed., 1432 AH - 2002 AD.

36- Majd al-Din Abu al-Sa'adat al-Mubarak ibn Muhammad ibn Muhammad ibn Muhammad ibn Abd al-Karim al-Shaybani al-Jazari ibn al-Athir (d. 606 AH), The End of the Strange Hadith and Tradition, edited by Tahir Ahmad al-Zawi - Mahmoud Muhammad al-Tanahi, Scientific Library - Beirut, no date, 1399 AH - 1979 AD.

37- Muhammad ibn Abi Bakr ibn Umar ibn Abi Bakr ibn Muhammad, al-Makhzumi al-Qurashi, Badr al-Din, known as al-Damamini and Ibn al-Damamini (d. 827 AH), Masabih al-Jami', edited by Nur al-Din Talib, Dar al-Nawadir, Syria, 1st ed., 1430 AH - 2009 AD.

38- Muhammad ibn Ahmad ibn al-Azhari al-Harawi, Abu Mansur (d. 370 AH), Tahdhib al-Lughah, edited by Muhammad Awad Mara'b, Dar Ihya' al-Turath al-Arabi, Beirut, 1st ed., 2001.

39- Muhammad ibn Ismail Abu Abdullah al-Bukhari al-Ja'fi (d. 256 AH), The Compendium of the Authentic and Concise Narrations of the Affairs, Sunnahs, and Days of the Messenger of God (peace and blessings be upon him) = Sahih al-Bukhari, edited by Muhammad Zuhair ibn Nasir al-Nasir, Dar Tawq al-Najat, Beirut, Lebanon, 1st ed., 1422 AH.

40- Muhammad ibn Ismail ibn Salah ibn Muhammad al-Hasani, al-Kahlani then al-San'ani Abu Ibrahim Izz al-Din, known like his predecessors as al-Amir (d. 1182 AH), al-Tanwir Sharh al-Jami' al-Saghir, edited by Dr. Muhammad Ishaq Muhammad Ibrahim, Dar al-Salam Library, Riyadh, 1st ed., 1432 AH-2011 AD.

41- Muhammad ibn Abd al-Rahman ibn Umar, Abu al-Ma'ali, Jalal al-Din al-Qazwini al-Shafi'i, known as the Khatib of Damascus (d. 739 AH), Al-Idah fi 'Ulum al-Balagha, edited by Muhammad Abd al-Mun'im Khafagi, Dar al-Jeel - Beirut, 3rd ed., n.d.

42- Muhammad ibn 'Izz al-Din Abd al-Latif ibn Abd al-Aziz ibn Amin al-Din ibn Firshta al-Rumi al-Karmani al-Hanafi, known as Ibn al-Malik (d. 854 AH), Sharh Misabih al-Sunnah by Imam al-Baghawi, edited and studied by a specialized committee of researchers under the supervision of Nur al-Din Talib, Department of Islamic Culture, 1st ed., 1433 AH - 2012 AD.

43- Muhammad ibn Isa ibn Sawra ibn Musa ibn al-Dahhak, al-Tirmidhi, Abu Isa (d. 279 AH), Sunan al-Tirmidhi, edited and commented on by: Ahmad Muhammad Shakir (vols. 1, 2), Muhammad Fuad Abd al-Baqi (vol. 3), and Ibrahim Atwa Awad, teacher at al-Azhar al-Sharif (vols. 4, 5), Mustafa al-Babi al-Halabi Library and Printing Company - Egypt, 2nd ed., 1395 AH - 1975 CE.

44- Muhammad ibn Lutfi al-Sabbagh, Artistic Imagery in the Prophetic Hadith, Islamic Office, Beirut-Damascus, 1st ed., 1403 AH - 1983 CE.

45- Muhammad ibn Muhammad ibn Mahmud, Abu Mansur al-Maturidi (d. 333 AH), Interpretations of the Sunnis, edited by: Dr. Majdi Basloum, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut-Lebanon, 1st ed., 1426 AH - 2005 CE.

46- Muhammad ibn Makram ibn Ali, Abu al-Fadl, Jamal al-Din ibn Manzur al-Ansari al-Ruwaifi'i al-Ifriqi (d. 711 AH), Lisan al-Arab, Dar Sadir, Beirut, 3rd ed., 1414 AH.

47- Muhammad ibn Yusuf ibn Ali ibn Sa'id, Shams al-Din al-Kirmani (d. 786 AH), Al-Kawakib al-Durari fi Sharh Sahih al-Bukhari, edited by Dar Ihya' al-Turath al-Arabi, Beirut, Lebanon, 1st ed., 1401 AH - 1981 AD.